كتاب

المجروحين

من المحدثين والضعفاء والمتروكين

للإمام الحافظ
محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي
ت ٣٥٤ هـ

تحقيق
محمود إبراهيم زايد

الجزء الأول

دار المعرفة
بيروت - لبنان

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار المعرفة
DAR EL-MAREFAH

للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing



مستديرة المطار - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ . ٨٣٤٣٣٢ - برقياً معرفكار بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

التقدمة

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير رسله ، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

فهذا الكتاب الذى وفق الله بمنه وفضله إلى إخراجه ، من خير الكتب وأجمعها فى بابه ولعل النهج الذى اختطه ابن حبان فى تأليفه يعتبر رائدا فى هذا الفن . بل كتاب الضعفاء لابن حبان وكتاب الكامل لابن عدى . ـ وهما فى عصر واحد ـ يعتبران نتيجة مترقبة يختتم بها القرن الثالث ـ العصر الذهبي لعلوم السنة ـ ويبدأ به القرن الرابع الذى منح المدرسة الحديثية عددا من المصنفات الفريدة

ابن حبّان :

أبو حاتم : محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمى . كذا نسبه غنجار ؛ ووافقه غيره إلى معبد ثم قال : ابن هدبة بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد ابن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.

ولد بمدينة « بست » بين سجستان وغزنين وهراة . وإليها ينسب. قال ياقوت : وهى من البلاد الحارة المزاج ، وهى كثيرة الأنهار والبساتين .

وابن حبان بذلك أفغانى الموطن عدنانى الأصل ، يظن بعض الباحثين أن أحد أجداده وفد على هذه البلاد مجاهدا فى العشر التاسع من القرن الأول الهجرى مع الفاتح الإسلامى محمد بن القاسم الثقفى ، ثم طابت له الإقامة فى تلك البلاد ، وإذا كان أبو حاتم قد استوثق مؤرخوه من سنة وفاته « ٣٥٤ هـ » فقد قالوا : إنه مات وهو فى عشر الثمانين وهو بذلك يكون قد ولد فى عشر الثمانين من القرن الثالث

وغالب الظن أن أسرة ابن حبان كانت على درجة من الغنى بما وفرت عليه مؤنة الكدح ، والسعى على الرزق ، ومكنته من الطلب المبكر ، والرحلة الواسعة بين أرجاء العالم الإسلامي المترامى الأطراف طلبا للعلم ، والتماسا له من صدور الرجال . حتى قيل فى التعريف به :

« الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مكثرا من الحديث والرحلة والشيوخ ، عالما بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ماعجز عنه غيره ، ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بحرا فى العلوم ، سافر مابين الشاش إلى الإسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد العالية ».

وإذا كان ابن حبان قد كتب عن أكثر من ألفى شيخ - كما يقول هو عن نفسه فى كتاب التقاسيم والأنواع - فإن من كتب عنه يذكر أبرز شيوخه مثل الحسين بن إدريس الهروى ، وأبو خليفة الجمحى ، وأبو عبد الرحمن النسائى ، وعمران بن موسى بن مجاشع ، والحسن بن سفيان ، وأبو يعلى الموصلى ، وأحمد بن الحسن الصوفى ، وجعفر بن أحمد الدمشقى ، وأبو بكر بن خزيمة

ويذكرون أنه لازم ابن خزيمة دهرا وتلمذ له ، وأخذ عنه فقه الحديث والفرض على معانيه ، وقد تتبع ياقوت فى معجم البلدان المدن التى تنقل بينها فى طلب العلم فبلغت ثلاثا وأربعين بلدا التقى فيها باثنين وسبعين شيخا من العلماء المبرزين . وهذه المدن التى ذكرها تعنى ماجاورها من البلاد، فهو مثلا يذكر رحلته إلى مصر ولا يعدد مدنها . كما أن الشيوخ الذين ذكرهم : إنما خص بهم مشاهير العلماء ، وتجاوز غيرهم ممن لم يشتهر . ويمكن للباحث أن يرجع إلى أسماء هذه المدن وهؤلاء الرجال فى ترجمة ابن حبان فى معجم البلدان ذكره عند كلامه على مدينة « بست »

أما أشهر من روى عنه فنهم : الحاكم ، وابن منده وغنجار ، وأبو على منصور بن عبد الله بن خالد الذهلى الهروى ، وأبو مسلمه محمد بن محمد بن داود الشافعى ، وجعفر بن شعيب بن محمد السمرقندى ، والحسن بن منصور الأسفيجانى والحسن بن محمد بن سهل الفارسى ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزنى ، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خشنام الشروطى وجماعة كثيرة لاتحصى .

ولم يكن ابن حبان فى رحلته الواسعة هذه يضيع وقتا ، أو يصرفه عن هدفه صارف بل إنه فى دأبه وحرصه على استنزاف ماعند شيوخه ربما ضاق به بعضهم ، فآذا ببعض القول ، ولكن أبا حاتم كان يمضى فى طريقه ، لايضيق بما ضاقوا به ، ولا يألم لما أصابه منهم ، بل بلغ به الحرص على التحصيل أن كان يعتبر كل حالات الشيخ - رضاه ، وسخطه - درسا يلقى وعلما يؤخذ وينفع .

حكى الرجل الصالح أبو حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابورى قال : « كنا مع أبي بكر محمد بن إسحق بن خزيمة فى بعض الطريق من نيسابور . وكان معنا أبو حاتم البستى ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحق بن خزيمة : يا بارد تنح عنى لاتؤذنى — أو كلمة نحوها — فكتب أبو حاتم مقالته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ فقال: نعم أكتب كل شىء بقوله » . والإيذاء هنا عبارة عن الإلحاح فى السؤال .

وهذا إن دل على شىء ، فإنما يدل على أن ابن حبان كان فى حالة استمرار دائم فى طلب العلم لا يعرف سفرا ولا حضرا ، وأنه كان أمينا على تسجيل كل ما يعرض عليه من شيخه .

ولم تكن حياة ابن حبان بالسهلة الميسرة ؛ فإن هذا المحدث الكبير الذى درس الفقه والطب والنجوم والكلام وفنون العلم واشتغل بالوعظ : زج بنفسه فى صراعات طاحنة مع الفرق والمذاهب، حتى كالوا له من صنوف الكيد والعداء ما عرضه للقتل مرات كما عرضه للطرد وألجأه إلى الاختفاء. تولى قضاء سمرقند مدة طويلة كما تولى قضاء نسا وتردد على نيسابور ثلاث مرات وولى قضاءها ، وفى المرة الثالثة بنى فيها خانكاه . وقرئت عليه جملة من مصنفاته ، ثم عاد إلى وطنه ، وكانت الرحلة إليه لسماع مصنفاته .

وكان ابن حبان على درجة كبيرة من الشجاعة فى الرأى ، لا يعرف المواربة ، فإذا رأى رأيا وصل فيه إلى حد يثير عليه العداء ويؤلب عليه الحاقدين. فها هو قد أخرج من سجستان مطرودا ، والأخبار يستق منها أن العامة أثيرت عليه حتى كادت تفتك به .

قال أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروى : — الذى تسميه المجسمة شيخ الإسلام على حد تعبير السبكى فى طبقات الشافعية — قال : سألت يحيى بن عمار عن ابن حبان قلت : رأيته ؟ قال : وكيف لم أره ونحن أخرجناه من سجستان لأنه أنكر الحد لله ، كان له علم كثير ، ولم يكن له كبير دين » .

يقول السبكى تعليقا على هذا : فياليت شعرى من أحق بالإخراج ؟ من يجعل ربه محدودا ؟ أو ينزهه عن الجسمية ؟ .

وكان خصومه يلتمسون منه أى ثغرة ينفذون منها إليه . أخذوا عليه قوله : « النبوة

العلم والعمل ، فحكموا عليه بالزندقة ، وهجره الناس ؛ ورفعوا أمره إلى الخليفة ، فكتب بقتله .

قال الذهبي فى الميزان معلقا على قول ابن حبان هذا : « ولقوله هذا محمل سائغ - إن كان عناه - أى عماد النبوة العلم والعمل ، لأن الله لم يؤت النبوة والوحى إلا من اتصف بهذين النعتين ، وذلك لأن النبي ﷺ يصير بالوحى عالما ، ويلزم من وجود العلم الإلهى العمل الصالح ، فصدق بهذا الاعتبار قوله : النبوة العلم اللدنى ، والعمل المقرب إلى الله ، فالنبوة إذا تفسر بوجود هذين الوصفين الكاملين ، ولا سبيل إلى تحصيل هذين الوصفين بكمالها إلا بالوحى الإلهى ، وهو علم يقينى ما فيه ظن ، وعلم غير الأنبياء منه يقينى ، وأكثره ظنى ، ثم النبوة لازمة للعصمة ، ولا عصمة لغيرهم ، ولو بلغ فى العلم والعمل ما بلغ . والخبر عن الشىء يصدق ببعض أركانه ، وأهم مقاصده . غير أنا لا نسوغ لأحد إطلاق هذا إلا بقرينة ، كقوله عليه الصلاة والسلام : الحج عرفة .

غير أن الذهبي يقول فى ختام تعليقه : وإن كان عنى الحصر أى ليس شىء إلا العلم والعمل فهذه زندقة وفلسفة .

ولم تكن الحملة على ابن حبان تقتصر على التماس خطأ يقع منه ، بل كانت تفتعل له التهم وتطارده بها فى كل مكان .

نقل البيكندى الحافظ من كتاب شيوخه — وكان قد ذكر فيه ألف شيخ فى باب الكذابين — قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستى ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أو ٣٢٩ فقال لى أبو حاتم سهل بن السرى الحافظ : لا تكتب عنه فإنه كذاب ، وقد صنف لأبى الطيب المصعبى كتابا فى القرامطة ، حتى قلده قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن يقتلوه ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلالا فى البزازين حتى اشترى له ثيابا بخمسة آلاف درهم إلى شهرين ، وهرب فى الليل ، وذهب بأموال الناس » .

وهذا خبر لا يصدق فإن الرجل كان حينئذ قد تخطى الخمسين من عمره ، وطبقت شهرته الآفاق ، ولم يكن جمع المال همه ، ولو كان لكان من اليسير عليه أن يجمع من القضاء الذى تولاه مدة فى ثلاث مدن . ورجل بنى دارا وخانكاه ووقف عليهما الأوقاف ، وبذل كتبه لطلاب العلم لا يستخفه خمسة آلاف درهم يفر بها بليل .

قال عبد الله بن محمد الأستراباذى : أبو حاتم بن حبان البستى كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار ، والمشهورين فى الأمصار والأقطار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم ، ألف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة من كل فن . أخبرتنى الحرة زينب الشعرية إذنا عن زاهر بن طاهر عن أحمد بن الحسين الإمام ،سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التى هى اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء التى يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة ، ولهم جرايات يستنفقونها من داره ، وفيها خزانة كتبه فى يدى وصى سلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شىء منها فى الصفة من غير أن يخرجه منها. شكر الله له عنايته فى تصنيفها وأحسن مثوبته على جميل نيته فى أمرها بفضله ورأفته .

رأيه فى أبى حنيفة :

لاشك أن ابن حبان وقع فى صراع مع الأحناف . ركاد لهم وكادوا له فى كل مكان تواجدوا به . وهذا هو التعليل الوحيد لتحامله على أبى حنيفة هذا التحامل الذى دفعه إلى أن يصنف فيه كتابين مطولين من أطول كتبه ، فقد صنف كتاب علل مناقب أبى حنيفة ومثالبه فى عشرة أجزاء ، وكتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة فى عشرة أجزاء منذ خلاف تناوله وتناول أصحابه ومذهبهم فى غيرهما من الكتب .

وليس هناك من سبب يلتمس لهذه الحملة التى حملها ابن حبان على الأحناف وإمامهم سوى العصبية ، فهو لاشك كان يميل إلى مدرسة الإمام الشافعى ، بل إن الشافعية يعدونه من رجال مذهبهم . وهو قد ولى القضاء مدة . والأحناف يعتبرون القضاء وقفا عليهم منذ تولاه أبو يوسف صاحب أبى حنيفة وتلميذه ، ثم بعثر أصحابه على قضاء الأطراف . فلم يقصر أحد الطرفين فى اصطناع الحرب على الطرف الآخر

ومهما يكن من أمر فإن ابن حبان من المكانة العلمية والزعامة الحديثية بمكان لايستساغ معه أن يقبل فى أبى حنيفة أخبارا من رجال على غير شروطه ، فهو يلتزم الصحة فيما يقبله من أخبار إلا فى أبى حنيفة، فهو يقبل فيه من الثقات والضعفاء والوضاعين ، وعقد له أطول ترجمة فى كتابه الذى بين يديك . ورماه بالإرجاء والدعوة إليه والأخذ بالرأى واطراح السنة .

والإمام الأعظم براء من ذلك ، وليس من العسير على ابن حبان — وهو صاحب قدم فى علوم الكلام — أن يفرق بين مرجئة السنة وأبو حنيفة وكثير من شيوخه وتلامذته منهم وهو لا يمس العقيدة ولا يعاب على الأئمة - وبين مرجئة المبتدعة وهم مرجئة الخوارج والقدرية والجبرية والمرجئة الخالصة .

وهذا الذى صنعه ابن حبان جعلت كتابه هذا يزخر بالتعليقات التى تهاجمه وتحمل عليه دفاعا عن أبى حنيفه :

والباحث المنصف عندما يرى آثار هذا المحدث العظيم ومصنفاته التى سنذكرها بعد يشعر بالأسف لما وقع فيه فى هذه المسألة ، وكان من الخير له ولنا أن يلتزم بآراء بعض المحدثين الذين قالوا فى أبى حنيفة كأحد المحدثين ، ولينصفه كفقيه وإمام لمدرسة من خيرة مدارس الفكر الإسلامى : ولكن العصمة لا تتوفر إلا للأنبياء .

مؤلفاته :

نظرا لأن أكثر الكتب التى ترجمت لابن حبان لم تذكر كثيرا من كتبه فقد رأيت أن أستقصى ما سجله ياقوت عن هذه الكتب استكمالا للفائدة وحرصا على نفع من شاء ممن يريد التعرف على ابن حبان . هذا فضلا عن أن هذه المؤلفات تعبر أدق تعبير عما وصل إليه هذا الإمام من مكانة علمية سامقة :

قال القاضى أحمد بن على بن ثابت كناية : ومن الكتب التى تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعها مصنفات أبى حاتم محمد بن حبان البستى التى ذكرها لى مسعود ابن ناصر السجزى ، ووقفنى على تذكرة بأسمائها ولم يقدر لى الوصول إلى النظر فيها ؛ لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته سوى ما عدلت عنه واطرحته ، فمن ذلك :

كتاب الصحابة خمسة أجزاء .
كتاب التابعين اثنا عشر جزءا .
كتاب أتباع التابعين خمسة عشر جزءا .
كتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزءا .
كتاب تباع التبع عشرون جزءا .
كتاب الفصل بين النقله عشرة أجزاء .
كتاب علل أوهام أصحاب التواريخ عشرة أجزاء .

كتاب علل حديث الزهرى عشرون جزءا . كتاب علل حديث مالك عشرة أجزاء .
كتاب علل مناقب أبى حنيفة ومثالبه عشرة أجزاء .
كتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة عشرة أجزاء .
كتاب ما خالف الثورى شعبة ثلاثة أجزاء .
كتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن عشرة أجزاء .
كتاب ما انفرد به أهل مكة من السنن عشرة أجزاء .
كتاب ما عند شعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزءان .
كتاب غرائب الأخبار عشرون جزءا .
كتاب ما أغرب الكوفيون عن البصريين عشرة أجزاء .
كتاب ما أغرب البصريون عن الكوفيين ثمانية أجزءا .
كتاب أسامى من يعرف بالكنى ثلاثة أجزاء .
كتاب كنى من يعرف بالأسامى ثلاثة أجزاء . كتاب الفصل والوصل عشرة أجزاء .
كتاب التمييز بين حديث النضر الحدانى والنضر الحزاز جزءان .
كتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث بن سوار جزءان .
كتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن زاذان ثلاثة أجزاء .
كتاب الفصل بين مكحول الشامى ومكحول الأزدى جزء . كتاب موقوف ما رفع عشرة أجزاء
كتاب آداب الرجالة جزءان . كتاب ما أسند جنادة عن عبادة جزء .
كتاب مناقب مالك بن أنس جزءان .
كتاب الفصل بن حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزء .
كتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر جزءان .
كتاب ما جعل شيبان سفيان أو سفيان شيبان ثلاثة أجزاء . كتاب مناقب الشافعى جزءان .
كتاب المعجم على المدن عشرة أجزاء . كتاب المقلين من الحجازيين عشرة أجزاء.
كتاب المقلين من العراقيين عشرون جزءا . كتاب الأبواب المتفرقة ثلاثون جزءا .
كتاب الجمع بين الأخبار المتضادة جزءان . كتاب وصف المعدل والمعدل جزءان .

كتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا جزء . كتاب وصف العلوم وأنواعها ثلاثون جزءا .

كتاب الهداية إلى علم السنن . وقصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه . يذكر حديثا ويترجم له ، ثم يذكر من يتفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أى بلد هو ، ثم يذكر كل اسم فى إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر ما فى ذلك الحديث من الفقة والحكمة ، فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما ، وإن تضاد لفظه فى خبر آخر تلطف للجمع بينهما ، حتى يعلم ما فى كل خبر من صناعة الفقه والحديث معا . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر السجزى : أكل هذه الكتب موجودة عندكم ، ومقدور عليها ببلادكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشىء اليسير ، والنزر الحقير . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبل كتبه ووقفها ، وجمعها فى دار رسمها لها ، فكان السبب فى ذهابها مع تطاول الزمان ، ضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العبث والفساد على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ فيتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ويجلدوها إحرازا لها ، ولا أحسب المانع من ذلك كان إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به ، والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام ما ملخصه : وحصل عندى من كتبه كتاب التقاسيم والأنواع خمسة مجلدات وكتاب روضة العقلاء ، ومن كتبه غير مسنده ومجلدين من كتاب الهداية إلى علم السنن : كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الإيمان ; وكتاب صفة الصلاة .

نبذ من آرائه :

كان ابن حبان ثاقب الفكر ، حاد الذهن ، بالغ الذكاء ، واسع التصرف ، على درجة عالية من التعمق فى علوم اللغة والكلام بالإضافة إلى هذه الحصيلة الغزيرة من الأخبار والآثار وهذه الكتب التى أخرجها للناس ، وبذلها لطلاب العلم قد أثارت عليه أحقادا

كثيرة ، وهذه الأحقاد حفظت لنا بعض آراء ابن حيان بالإضافة إلى ماهو مدون في بطون كتبه التي بين أيدينا .

فعندما أخرجوه من سجستان قالوا : إنه أنكر الحد لله . والحافظ الذهبي يرى أن كلا الفريقين — ابن حبان وخصومه — بعيد عن الصواب . فإن « إنكاره الحد وإثباتكم الحد نوع من فضول الكلام ، والسكوت عن الطرفين أولى ، إذ لم يأت نص بنفي ذلك ولا إثباته » إلخ ما قاله في الميزان - في حين أن السبكي يرى أن الأولى بالإخراج من المدينة من يجعل ربه محدودا لا من ينزهه تعالى عن الجسمية .

وتلك التي رفعوها إلى الخليفة يؤلبونه عليه ، وهي قوله : « النبوة العلم والعمل » ، وقد سبق مناقشتها وابن حبان في رواياته للأحاديث يقارن بين الأخبار ، وله نظرات في ذلك تدل على مكانته في علوم اللغة ، وإحاطته بعلوم السنة وتمكنه من فقه الحديث .

ذكر في صحيحه حديث أنس في الوصال ، وقوله ﷺ : « إني لست كأحدكم إني أطعم وأسقى » ، ثم قال : « في هذا الخبر دليل على أن الأخبار التي ذكر فيها وضع النبي ﷺ الحجر على بطنه كلها أباطيل . وإنما معناها الحجز — بضم الحاء وفتح الجيم — لا الحجر . والحجز بالضم هو طرف الإزار ، إذ الله عز وجل كان يطعم رسوله ﷺ ويسقيه إذا واصل ، فكيف يتركه جائعا مع عدم وصال حتى احتاج إلى شد الحجر على بطنه . وما يغني الحجر عن الجوع ؟ ! » .

وذكر حديث : « قوائم المنبر رواتب في الجنة » وبوب عليه برجاء نوال الجنان بالطاعة عند منبر المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وحديث : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » وبوب عليه رجاء نوال المرء بالطاعة روضة من رياض الجنة إذا أتى بها بين القبر والمنبر .

وقال عن الخبرين الأخيرين : حاصله أن الخطاب في هذين الخبرين من باب إطلاق المسبب على السبب ، والمعنى أن المسلم يرجى له الجنة بتقربه عند هذين الموضعين .

وغير ذلك من الأمثلة التي تدل على سعة الأفق ودقة الفهم .

مذهب ابن حبان فى الجرح والتعديل :

يرتبط بالموضوع السابق الإلمام برأى ابن حبان فى الجرح والتعديل ، خاصة وأن الكتاب الذى نقدمه للقارىء يتناول القاعدة التى وضعها ابن حبان للضعفاء والمجروحين والمتروكين وتطبيقاته هذه القاعدة على الرجال .

ويعد ابن حبان من بين المتشددين من أئمة المحدثين فى الحكم على الرجال . شأنه فى ذلك شأن أبى حاتم والنسائى وابن معين وابن القطان ويحيى القطان وغيرهم . والحافظ الذهبى يشير إلى هذا فى ثنايا ترجماته فى الميزان عندما ينقل رأى ابن حبان ، وكثيرا ما يقسو فى عبارته عليه أو يغمزه غمزا شديدا .

ففى ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى يقول : « وأما ابن فإنه يقعقع كعادته فقال فيه » وفى ترجمة سويد بن عمرو الكلبى : « أما ابن حبان فأسرف واجترأ » وفى ترجمة محمد بن الفضل السدوسى عارم : « فأين هذا القول من قول ابن حبان الخشاف المتهور فى عارم » ، ثم ساق رأى ابن حبان وقال : « ولم يقدر ابن حبان أن يسوق له حديثا منكرا ، فأين مازعم ؟ ! » .

ومع تسليمنا بأن ابن حبان يميل إلى التشدد فى حكمه على الرجال كأستاذه النسائى ، إلا أن الذهبى كثيرا ماينقل آراء الجرحين الذين يلتقون مع ابن حبان فى الرأى ولايهاجم إلا ابن حبان منهم خاصة .

والحافظ ابن حجر أيضا يميل إلى هذا الرأى ؛ يقول : « ابن حبان ربما جرح الثقة حتى كأنه لا يدرى ما يخرج من رأسه » .

والحديث فى هذا يطول وقد أشرت إلى جانب منه فى مقدمة كتاب : « الضعفاء والمتروكين » للنسائى .

ومع ذلك فقد نسب عدد من المحدثين ابن حبان إلى التساهل ، وقد عالج اللكنوى الهندى هذا الموضوع فى كتابه : « الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل » .

فكان مما قاله فى ذلك : « قالوا : هو واسع الخطو فى باب التوثيق ، يوثق كثيرا

من يستحق الجرح ، وهو قول ضعيف فإن ابن حبان ممن كان يعد من المتعنتين والمسرفين في جرح الرجال ، ومن هذا حاله لا يمكن أن يكون متساهلا فى تعديل الرجال ، وإنما يقع التعارض كثيرا بين توثيقه وبين جرح غيره لكفاية مالا يكفى فى التوثيق عند غيره عنده .

قال السيوطى فى « تدريب الراوى » تحت قول النووى: « ويقاربه - أى صحيح الحاكم صحيح أبى حاتم بن حبان : قيل : ما ذكر من تساهل ابن حبان ليس بصحيح ، فإن غايته أنه يسمى الحسن صحيحا ، فان كانت نسبته إلى التساهل باعتبار وجدان الحسن فى كتابه فهى مشاحة فى الاصطلاح ، وإن كانت باعتبار خفة شروطه ، فانه يخرج فى الصحيح ما كان راويه ثقة غير مدلس . سمع من شيخه ، وسمع منه الآخذ عنه ، ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع ، وإذا لم يكن فى الراوى جرح ولا تعديل ، وكان كل من شيخه والراوى عنه ثقة ، ولم يأت بحديث منكر فهو عنده ثقة . وفى كتاب الثقات له كثير من هذا حاله ، ولأجل هذا ربما اعترض عليه فى جعلهم ثقات من لا يعرف حاله . ولا اعتراض عليه . فانه لا مشاحة فى ذلك .

وهذا دون شرط الحاكم حيث شرط أن يخرج عن رواة خرج لمثلهم الشيخان فى الصحيح . فالحاصل أن ابن حبان وفى بالتزام شروطه ، ولم يوف الحاكم . انتهى

وفى « فتح المغيث » : مع أن شيخنا - أى الحافظ بن حجر - قد نازع فى نسبته إلى التساهل إلا من هذه الحيثية أى إدراج الحسن فى الصحيح . وعبارته : إن كانت باعتبار وجدان الحسن فى كتابه فهو مشاحة فى الاصطلاح لأنه يسميه صحيحا ، وإن كانت باعتبار خفة شروطه ، فانه يخرج فى الصحيح ما كان راويه ثقة غير مدلس سمع ممن فوقه وسمع منه الآخذ عنه ، ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع . وإذا لم يكن فى الراوى المجهول الحال جرح ولا تعديل ، وكان كل من شيخه والراوى عنه ثقة ، ولم يأت بحديث منكر فهو ثقة عنده » .

ثم يقول اللكنوى : « ويتأيد - هذا - بقول الحازمى : ابن حبان أمكن فى الحديث من الحاكم ، وكذا قال العماد بن كثير : قد التزم ابن خزيمة وابن حبان خير من المستدرك بكثير وأنظف أسانيد ومتونا » .

وابن حبان وضع قواعد واضحة فى هذا الكتاب تحدد مذهبه فى الحكم على الرجال ، فهو يقول : « من كان منكر الحديث على قلته لا يجوز تعديله إلا بعد السبر ؛ ولو كان ممن يروى المناكير ووافق الثقات فى الأخبار لكان عدلا مقبولا الرواية ، إذ الناس فى أقوالهم على الصلاح والعدالة حتى يتبين ما يوجب القدح .

هذا حكم المشاهير من الرواة ، فأما المجاهيل الذين لم يرو عنهم إلا الضعفاء ، فهم متركون على الأحوال كلها .

يقول الحافظ ابن حجر تعليقا على هذا : « وهذا الذى ذهب إليه ابن حبان — من أن الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة إلى أن يتبين جرحه — مذهب عجيب ، والجمهور على خلافه . وهذا مسلك ابن حبان فى كتاب الثقات الذى ألفه ، فإنه يذكر خلقا ممن نص عليهم أبو حاتم وغيره على أنهم مجهولون . وكأن عند ابن حبان أن جهالة العين ترتفع برواية واحد مشهور ، وهو مذهب شيخه ابن خزيمة .

وقد أفصح ابن حبان بقاعدته ، فقال : العدل من لم يعرف فيه الجرح ، إذ التجريح ضد التعديل ، فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه ، إذ لم يكلف الناس ما غاب عنهم .

ويتبين منه مذهب ابن حبان ومن خالفه فى توثيق من اشتهر برواية العلم ، ولم يجرح فهو ثقة عند ابن حبان ، وخالفه فى ذلك غيره ؛ فإذا رأينا فى كتب الجرح والتعديل من قيل فيه « وثقه ابن حبان » عرفنا أنه ممن تختلف فيه أنظار العلماء ؛ فابن حبان يقبله وغيره قد يتوقف فيه » .

وابن حبان يقسم أنواع جروح الضعفاء إلى عشرين نوعا فى مقدمة كتابه الذى بين يدى القارىء وضح كل نوع وضرب له الأمثلة ؛ وبين الفروق الدقيقة التى قد تخفى على البعض ونبه عليها أثناء الترجمات ؛ والتزم بهذه القواعد من أول الكتاب إلى آخره .

أول هذه الأنواع الزنادقة الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر .

ثانيها : الذين يضعون الحديث على الشيوخ الثقات فى الحث على الخير والزجر عن المعاصى

ثالثها : من كان يضع الحديث على الثقات وضعا استحلالا وجرءة .

إلى آخر ماهو مبسوط فى مقدمة المصنف .

وفاته :

نقل ياقوت عن شيخه أبى القاسم الحرستانى عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد بن محمد البحترى : سمعت محمد بن عبد الله الضبى يقول : توفى أبو حاتم البستى ليلة الجمعة لثمان ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤ ، ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصفة التى ابتناها بمدينة بست بقرب داره ، وذكر أبو عبد الله الغنجار الحافظ فى تاريخ بخارى أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ .

يقول ياقوت : قبره ببست معروف يزار إلى الآن ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببست .

كتاب المجروحين :

اشتهر الكتاب بهذا الاسم ، وهو فى النسخة الخطية المودعة بدار الكتب المصرية عنوانه « معرفة المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين » وهو عنوان أدق لمحتويات الكتاب . ويذكر ابن حبان فى آخر الكتاب : « قد أملينا ماحضرنا من ذكر الضعفاء والمتروكين وأضداد العدول من المجروحين ، وهذا أكثر قربا إلى عنوان الكتاب فى الخطية .

ألف ابن حبان كتابا من أكبر كتبه هو : « التاريخ الكبير » ولكنه رأى صعوبة تناول مافى هذا الكتاب لأنه جمع فيه بين الثقات والمجروحين فاختصر من هذا الكتاب كتابيه « الثقات . المجروحين » .

قال فى مقدمة كتاب الثقات : « وأقنع بهذين الكتابين : « كتاب الثقات » وكتاب المجروحين » المختصرين عن كتاب التاريخ الكبير الذى خرجناه لعلمنا بصعوبة حفظ كل مافيه من الأسانيد والطرق والحكايات » .

وإذا كان النسائى — أستاذ ابن حبان — ومن عاصره ومن سبقه من الشيوخ كانوا

يكتفون فى مصنفاتهم عن ضعفاء الرجال بذكر اسم الراوى والرأى فيه باختصار شديد التزاما بقاعدة فنية معروفة ، فمثلا يقال : فلان ضعيف ، منكر الحديث ، ضعفه فلان ، تركه فلان . إلخ ما هو واضح فى كتابى الضعفاء للبخارى والنسائى اللذين وفق الله بتحقيقهما وطبعهما فى هذا الشهر :

فإن ابن حبان يخطو فى هذا الكتاب خطوة واسعة فى هذا الفن :

— هو أولا وضع قواعده العشرين فى التضعيف والجرح وترك الرجال .

— يذكر اسم الرجل كاملا والحكم عليه والأسباب التى استند إليها فى تكوين هذا الحكم .

— ينقل بعد هذا رأى الأئمة فى الرجل .

— ينهى الترجمة برواية الأحاديث التى أنكرها المحدثون عليه ويصدر ذلك بقوله : « قال أبو حاتم » .

وقد جاء الكتاب سجلا فريدا ، ومرجعا هاما يرجع إليه فى ضعفاء المحدثين ، جمع كثيرا من الأحاديث الموضوعة أو الضعيفه التى يعز على الباحث العثور عليها فى غير كتابه ، كما حفظ أسماء كثير من الرجال ممن يصعب العثور عليهم فى غيره .

ويكفى أن كتاب الموضوعات لابن الجوزى استقى أكثر أحاديثه من كتاب ابن حبان . كما أن صاحب الميزان ترجم لعدد كبير من الرجال لم يعد عنهم أكثر مما قاله ابن حبان فيهم .

ولا يفوتنى أن أشير هنا إلى أن ابن حبان ينقل عن البخارى كثيرا من البيانات عن الرجال خاصة من كتابيه : « التاريخ الكبير ، التاريخ الصغير » دون أن يشير إلى الإمام البخارى ، بل إن اسم الإمام البخارى لا يكاد يتردد فى كتابه هذا ، مع أن ابن حبان بدأ طلب العلم فى وقت كانت شهرة البخارى طبقت الآفاق ولم ينازعه فى زعامة المحدثين منازع خاصة بعد وفاته .

النسخة التى اعتمدت عليها فى التحقيق :

طبع الجزء الأول من الكتاب فى المطبعه العزيزية بحيدر أباد عام ١٩٧٠ م ، ولكن

الطبعة كانت تحتاج إلى عناية وإعادة نظر ، وقد اكتفى محققه فى هذا الجزء إلى الوقوف عند « الصباح بن محمد » ، ولو أضاف إليه بضع صفحات لوقف عند باب العين .

وقد رأيت بادىء ذى بدء أن أكتفى بمراجعة الجزء المطبوع على النسخة المودعة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥٩٨ ب بخط مغربى نسخت منها أخرى بخط جميل أودعت برقم ٢٤١٩٣ ب . والخطية الأصلية تقع فى ١٨٨ ورقةو الثانية فى ١٣١٥ صفحة

كما رأيت أن تكون التعليقات فى غاية الاختصار مع العناية بالضبط، ولكن الضبط لم يثبت أكثره فى الجزء الأول نظرا لصغر حروف النسخة المطبوعة ، وعدم تمكن القائمين بالطبع على ملاحقته .

وفى الأعلام كنت أشير إلى المرجع الذى يمكن للباحث أن يرجع إليه للاستزادة ، أما عند الخطأ أو وجود اختلاف فسيرى القارىء أن ذلك موضحا .

وفى الجزء الثانى نظرا لأنى قمت بنسخه بنفسى فقد عنيت بضبط كثره ، كما قمت بنقل كثير من آراء أئمة المحدثين فى الرجال الذين وردت ترجماتهم فيه ، ورأيت أن فى هذا بعض التعويض عن مخطوطة أخرى تقابل عليها المخطوطة الوحيدة التى تيسرت لى خاصة وأن كثيرا من الآراء التى كتبها ابن حبان وردت بنصها فى الميزان .

وبعض التراجم الذين لم ينقل الحافظ الذهبى عنهم إلا ما كتبه ابن حبان اكتفيت بالإشارة إلى المرجع .

وأسأل الله — بمنه وفضله — أن يعين على إعادة النظر فى هذا الكتاب حتى أحقق أحاديثه ، الأمر الذى لم يكن بمستطاع فى الفترة التى تناولت فيها الكتاب ، ولم يكن فى الإمكان أيضا فى ظروف نفقات الطباعة حاليا إذا كان من المتوقع أن يجاوز الكتاب أضعاف حجمه .

وأرجوا أن يلتمس القارىء لى بعض العذر فيما يراه من تقصير ، فيعلم الله أنى عانيت منه وجهدت فابن حبان غزير المادة كثير النقل والتلقى عن الرجال .

كما أرجو أن أشير إلى ما أشار إليه ابن حبان فى غير موطن من الكتاب أن الأحاديث

التى أوردها فى تراجم الرجال الضعفاء يحرم على من يقع عليها أن يرويها إلا على سبيل التنبيه على ضعفها والإشارة إلى المغامز التى غمزها به .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لخدمة علوم السنة ؛ والحمد لله أولا وأخيراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ؟ .

المحقـــق

المراجـــع :

معجم البلدان لياقوت
تذكرة الحفاظ للذهبي
ميزان الاعتدال «
طبقات الحفاظ للسيوطى
طبقات الشافعية للسبكى
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبى الفلاح الحنبلى
الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل لأبى الحسنات اللكنوى
مقدمة الجزء الأول من كتاب المجروحين للحافظ عزيزبك القادرى .

كتاب معرفة المجروحين من المحدثين
من تصنيف الحافظ أبي حاتم
محمد بن حبان بن أحمد
التميمي رحمه الله

وقف [illegible]
[illegible]
[illegible]
ربيع الثاني [illegible] ١٢٣٢

محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ أبو حاتم التميمي البستي الحافظ العلامة [illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى من المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم : ١٩٥٩٨ ب

[illegible]

الحمد لله الواحد الأحد المحمود الصمد الذي لا يبليه تكرار الأوقات ولا انزل النزليه

ولا انتقال لمر هو نال الحال الابقى منتهيه وارزق العباده فهيم فذكره الا قسيار من بهم

لمشار بالعلوة رلى بعضهم من غير ان يسأل بتسهيلهم شرح صدورهم ابه لنى اقدر

انهضهم لعبادته وطبع على قلوب اعدايه حتى ازوا ورث عن الاكتساب لجنته ثم تطو

منهم كريمة اصفياء وجعلهم بررة اتقياء ابرغ عليهم انواع نعمته و هدا هم لصفوة اعتر

جعلهم قايمين باظهار دينه والمتمسكين بسنن نبيه صلى الله عليه وسلم عليه الحمد على ما فه

نوفق ودبر ولطفه دا الا بلغ الذاكرين له امدا والحمد المحمود له عددا واشهد ان لا اله الا هو

الذي هو شاهد كل نجوى ومنتهى كل شكوى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر

من ذلك ولا اكبر واشهد ان محمدا عبده المصطفى ورسوله المرتضى بعثه الله داعيا الى جنانه

هاديا صلى الله عليه وسلم وعلى اله الطيبين الاخيار اما بعد فان احسن ما يذخر المرء من

الخير والعمل وافضل ما يكتسبه به الذخر في الدنيا حفظ ما يعرف به ما صح من الاثار و تمييز بينه

وبين الموضوع من الاخبار اذ لا يتهيا معرفة الصحيح من السقيم ولا استخراج الدليل من الصحيح

الا بمعرفة ضعفاء المحدثين الثقات وكيفيتها كانوا عليه من الخلاف في الرواية المرضيين

والثقات المحدثين بعد ذكرناهم باسانيدهم وما يعرف من انسابهم وانا ذاكر ضعفاء المحدثين

واضداد العدول من الماضين من المتاخرين من اجمعنا عليهم القدح وصح عندنا فيهم الجرح واذكر

السبب الذي من اجله جرح والعلة التي بها قدح ليرتفض سلوك الاعوجاج بالغرور باخبارهم

عند الاحتجاج واقصد في ذلك ترك الاملاء والتطويل ولزوم الاشارة الى نعمي التحصيل بالله

استعين على السداد في القول به نعوذ من الحيرة والضلال انه متولى رجاء المومنين وكف

جزاء المحسنين الحث على حفظ السنن ونشرها اخبرنا محمد بن محمود بن عدي

قال حدثنا حميد بن زنجويه قال حدثنا على بن عبيد قال حدثنا محمد بن اسحق عن الزهري

عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف من منى فقال نضر الله

عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم اداها الى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه

الى من هو افقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن اخلاص العمل لله والنصيحة لاولى الامر

ولزوم الجماعة فان دعوتهم تكون من ورائهم قال ابو حاتم رضي الله عنه في هذا الخبر [illegible] على من كتب

السر [illegible] اعلم على حفظ السنن رجاء اللحوق بمن دعا له النبي عليه السلام

اذ الله جل وعلا امر عباده باتباع سننه وجعل التنازع الرجوع اليه عند فقال بل

الصفحة الثانية من المخطوطة